(تمرد ابن الأزرق فى الأندلس)

د/ سوزان عبد الجابر عبد المعطى سليم
مدرس التاريخ الاسلامى
كلية الآداب / جامعة المنوفيه

الـتمرد

غالبا ما يعمد البعض للتمرد أو القيام بثورة إثر تعرضهم لضغوط أو مشاكل , وقد تختلف التمردات منها ذات الطابع العنصرى وأخري ذات طابع اجتماعى الا أن تمرد إبن الازرق يمثل مزيجا فريدا بين التمرد الاجتماعى والسياسي.

ترى الدكتورة سلمى خضراء الجيوشى أن مدجنى الأندلس عامة، وبلنسية خاصة،قد تعرضوا لصنوف الظلم،وفى المقابل فقد تمردوا كثيراً،وكانت السلطات المسيحية ترقبهم جيداً بعد منتصف القرن الثالث عشر،حتى كانت جهودهم تحت ظروف وصفتها بالمُختبر، ويمكن أن نعزو ذلك؛ لتركز غالبية المدجنين ببلنسية، كما أشارت إلى أن هناك جانباً لا يجب ألا يمر فى صمت، وهو الشغب الذى حدث ما بين 675-691ه/1276-1291م خصوصاً إذا اقترن بأنهم ضحايا وإن ظهروا فى أحيان أخرى على أنهم عنصر خطير، وفى أوقات أخرى بأنهم عمالة لايجوز الاستغناء عنها.[1] والأقرب للصواب أن السلطات المسيحية كانت ترقب مدجنى بلنسية؛ لطبيعتهم التى جبلت على التمرد، وخشية من امتداد فتيل ثوراتهم إلى مناطق أخرى.

كما يجب تأكيد وجود الكثير من المدجنين فى مملكة أراجون من الخبراء والفلاحين وذوى الصنائع، الذين عانوا كثيرا فى عملهم ومهروا فى الفنون .كما أنها واحدة من الممالك المسيحية،التى كانت بارزة فى وجود المدجنين،وإن قننت استخدام اللغة العربية فى الكتابات والعقود والمعاملات اليومية نسبياً[2].

وغالباً ما تمرد المدجنون على اضطهاد الكنيسة، وبعض التفرقة التى نالتهم من قبل الملكية، علاوة على التدخل المسيحى فى الشئون الداخلية للنظام القضائى لشاطبة، واتضح عدم الرضا الذى رآه المدجنون، فى موجات من التمرد، ظهرت بين الحين والآخر،واختلفت حدتها من مكان إلى آخر،وعلى الرغم منأن حقيقة التعدى المسيحى على مجتمع المدجنين قد بدأت مبكراً فإن إيزابيل ترى أن المجتمع لا يمكن ببساطة أن يُرى على أنه سلبى. فقد قاوم جيل المدجنين بعد الغزو المسيحى قوى التثاقفAcculturation،أو بالأحرى الإجبار والقسر، وحاولوا اكتساب عدد من المزايا، وقت الغزو قدر المستطاع .وبمجرد حصول المسيحيين على هذه المزايا بدلاً منهم ؛كان رد المدجنين إزاء ذلك هو الشكاوى والتمرد العسكرى. وكانت هوية

[1] Salma Kadraa, The legacy of Muslim Spain, p 182-183.

[2] Esteban Sarasa Sanchez, Arte Mudejare en Aragon, Leon, Castilla, Extremadura y Andalucia,p27.

المدجنين عبر مملكة بلنسية قوية وألخميا شاطبة الأكبر على الإطلاق، لعبت دوراً رئيساً فى مثل تلك العملية، فمنظماتها الداخلية والوظيفية قد لعبت دوراً مثالياً لالخميا باقى المدجنين مثلا سلمادينا بقسنطينة التى كان لديها نفس الواجبات مثل سلمدينا شاطبة[3].

تمرد ابن الأزرق

وابن الأزرق هو واحد من أهم ثوار المدجنين الذى ارتبط اسمه فى التاريخ بتمرد ذكرته كل المراجع الإسبانية، ودونته حوليات الملك؛ بوصفه حلقة صعبة،بل عصيبة فى تاريخ أراجون.

جذور التمرد

قام المدجنون فى أثناء حكم الملك خايمى الأول أكثر من مرة بحمل السلاح ضد حكامهم الجدد من المسيحيين، واتضح ذلك بشكل أكثر نضجاً فى صورة تمرد،كان الأعنف من نوعه، والذى حدث بعد فترة قصيرة من الغزو المسيحى لشاطبة،وكان الشخص الرئيس الذى أثار هذا التمرد يدعى ابن الأزرق وهو أبو عبد الله محمد بن هديل الذى وصفته الأستاذة الدكتورة سحر سالم بأنه رجل ملهم[4].ولا تحدثنا المصادر كثيراً عن ابن الأزرق كمراحل الطفولة،وسنى حياته الأولى، بل تطلعنا المصادر على التمرد الذى قام به بشكل مباشر، دون استعراض لشخصه أو أسرته.

وهذا التمرد أضحى أكبر من كونه انتفاضة محلية، بل تجاوز ذلك؛ ليصبح حلقة صليبية ترددت أصداؤها فى روما. وعلى الرغم من أن بابوات القرن الثالث عشر،رأوا فى هذا التمرد نموذجاً موازياً للحملات الصليبية فى الأراض المقدسة؛فإنهم عدوه حربا صليبية كبيرة، بل شعواء إن جاز التعبير، استمرت لأكثر من عقد من الزمان من643-656ه/ 1245-1258م وانقسمت إلى ثلاث مراحل،-بدأت بحرب واستياء ونداء بابوى،وإستحواذعلى قلاع وإقصاء لمدجنين لم يكونوا أطرافاً فى الصراع، ولم تثبت ضدهم تهمة التمرد، توسطتها هدنة ومراسلات بين ابن الأزرق وزوجة الملك الفونسو العاشر، وأوشكت الحرب على الانتهاء باكتساب ابن الأزرق لمملكة إسلامية كبيرة[5] وانتهت بهجرة ابن الأزرق. بدأ التمرد حينما كان خايمى فى أراجون،حيث وصلته الأنباء باستيلاء ابن الأزرق على معظم القلاع فى الأراض البلنسية ؛مما أثار حدة الغضب الشديدة التى انتابت خايمى إزاء ما أسماه الخيانة ؛ هنالك قام الملك باقصاء المدجنين بشكل جماعى من شاطبة،التى اعتبرها بؤرة الفتنة .كما قام الملك بالدعوة إلى مجلس فى بلنسية،يضم البارونات والمواطنين ورجال

---

[3] Isabel,A forgotten Community, p 79.

[4] سحر سالم:شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس,ص 227.

[5] إنظر ملحق رقم (1) القلاع التى استولى عليها ابن الأزرق.

الدين؛ لمساعدة الملك فى استرداد قلاعه،بواسطة عدد أربعمائة فارس، وقام بمعاملة المسلمين كوحدة، كما انتوى إقصاء غير المتمردين؛ وذلك للتحكم فى المتمردين، وتقليص عددهم بالحرب . كما قام رجال الدين والمواطنون بتقديم أكثر من دعم لمساعدة الملك فى التغلب على مثل هذه الأزمة، خصوصاً النبلاء الذين يمتلكون مستأجرين مسلمين . وقام خايمى بتدشين حملاته وإصدار إنذار بالعربية ملوحاً كذلك بجزية عظيمة،تدفعها مجتمعات الألخميا فى مدن إسبانيا المختلفة،التى تخضع لحكمه .ولاشك أن دعوة ابن الأزرق قد لاقت قبولا، وترددت أصداؤها إذ هاجر كثير من المدجنين إلى القلاع القوية فى منتيشة جنوب بلنسية، حيث معقل التمرد .أما مئات الآلاف من المسلمين طبقا لرواة الملك فقد هاجروا باتجاه قشتالة وغرناطة(6).

المرحلة الثانية من الحرب

استمر المدجنون شمال بلنسية فى الالتفاف حول ابن الأزرق ؛ باعتباره قائداً لهم،وحاربوا القوات المسيحية التى قدر عددها بحوالى ثلاثة آلاف وقتلوا منهم ما يربو على 400 أربعمائة أو خمسمائة 500. وحاصروا فى الجنوب قلعة بنكادل Penicadell كاربونيرا حالياً مهددين بذلك مجتمعات المسيحيين الرئيسة . حينها قام مستشارو الملك بنصحه بعدم الانخراط شخصيا فى الحرب، موضحين ارتفاع الروح المعنوية للمدجنين، والطبيعة الجبلية للإقليم السالف الذكر؛ باعتبارها غير ملائمة للحرب والعمليات العسكرية؛ وإن كنا نعزو ذلك ؛ لخوفهم على ملكهم من القتل. لكن القوات المسيحية استطاعت تقليل الحصار المفروض من قبل المدجنين،وقُتل أحد قادة المدجنين، ويدعى ابن بصال، دافعين بالمدجنين إلى أقصى الجبال حول معقل ابن الأزرق، القلعة،إلا أن رواية الملك حول هذا تصبح مبهمة وسريعة [7]،ومع هذا فقد أضاف برنز إلى ما سبق،تحكم ابن الأزرق فى إقليم حول منطقة pego،وأودية القلعة Gallinera،ثم توقيع إتفاقية سنة 1245م، مع الملك خايمى الأول ؛ حيث اعترف فيها بفقدان pop and tarbena، بينما احتفظ بقلاع أخرى فى المنطقة لمدة ثلاث سنوات على الرغم من عدم ذكرها فى الوثائق .وطبقا لبرنز فإن خايمى الأول كان عليه قبول المعاهدة ؛ مما يجعلنا نؤكد ضعف موقف خايمى وارتفاع مكانة ابن الأزرق والصليبين - على حد وصف الملك -الملتفين حول ابن الأزرق.وانقسم التمرد إلى معسكرين رئيسين، أحدهما تمرد سنة 1245م،والآخران امتدا من 1247وحتى 1258م،وتعد سنة 1245م الفترة الرئيسة للتمرد، وبؤرته تتركز حول ممتلكات إبن الأزرق، التى تقع جنوب شاطبة .وكانت سنة 1247م هى بؤرة التوتر ثانية بين الملك وابن الأزرق،وذلك حينما نقض ابن الأزرق المعاهدة التى وقعها الطرفان سنة 1245م لمدة عام، وتومئ الإشارة إلى أحد أهم الفقهاء وهو الفقيه ابن عيسى الذى لا

(6)Robert Burns, The Crusade against Al Azraq, p 81.

(7)Robert Burns, The Crusade against Al Azraq, p 81.

نعرف الكثير عنه[8] ولكن ما نعرفه هو أن بعض المراجع الأوروبية قد ظلمته وإدعت أنه من الفقهاء الموالين للملك الذى لا يزال يسكن شاطبة.كما إستولى إبن الأزرق على قلاع Gallinera، Serra and pego و تذكر المصادر سفر الملك خايمى فى الحال إلى مملكة بلنسية ؛ ليتحكم فى التمرد،وعلى الرغم من إشارة المؤرخين - أمثال الأستاذة الدكتورة سحر سالم- أن الملك خايمى قد صمم على طرد مدجنى شاطبة بتهمة التمرد،فإن مؤرخى الغرب - وعلى رأسهم برنز يرون أنه ليس هناك مؤشر إلى المدجنين بشاطبة قد شاركوا فى هذا التمرد، الذى استمر لعقد من الزمن، بينما اشتكى الملك خايمى فى أثناء إسناد أو تفويض السلطة لأحد قادة المدجنين، والذى زاره ببلنسية أن القائد على ما يبدو كان سعيداً بشكوى خايمى من التمرد الذى أثاره ابن الأزرق، كما وضح الملك خايمى وابنته فيولنته أن مدجنى شاطبة لم يقدموا أو يعرضوا أية مساعدة فى الحرب ضد ابن الأزرق،وأنهم- أى(مدجنى شاطبة) لم يقوموا بالتمرد ضد خايمى الأول لكنهم فى الوقت ذاته لم يفعلوا شيئا لوقف التمرد، بل شاهدوا الأحداث بهدوء،ورأوا فى الحرب فرصة لإعادة التحكم فى المدينة،وهنا أمر الملك أربعمائة فارس بالتجمع فى شاطبة أمام كنيسة سانت ماريا، وترك الملك قلعة المدينة تحت إمرة جوليم دى مونتكادا[9].

المرحلة الثالثة للحرب

استمرت الحرب ثلاث أو أربع سنوات، حتى كانت تبعية ابن الأزرق لألفونسو الحكيم ملك قشتالة، والتى أكسبته نوعا من الحماية، وأتاحت له هدنة لمدة عام. ويبدو أن صهره خايمى قد استخدم هذه الهدنة لاخضاع ابن الأزرق، هذه الهدنة التى أسفرت عن مأزق عسكرى، وهو ترك جنود ابن الأزرق بلا غذاء؛ فاجتمع ابن الأزرق بمضيفه فى عيد الفصح بعد حملته الأخيرة،مستولياً على ثمانى عشر قلعة فى أسبوع واحد .ويبدو أن التمرد كان خطيراً، ليس بشهادة المؤرخين فحسب بل بشهادة كاتب الملك نفسه رامون مونتير وعلى الرغم من أنه كتب القليل عن هذه الحلقة فإنه ركز على حلقة وصفها بالمخيفة وهى هجوم ابن الأزرق واقترابه من خيمة الملك، وأوشك على قتله[10]، ومع ذلك فإن حوليات الملك لاتعالج بدقة وبمصداقية كل جوانب التمرد الخاصة بابن الأزرق،الذى شكل تمرده هوة أو فجوة عميقة، امتدت من 1245-

---

[8] ربما يكون ابن عيسى المقصود التى أوردته المراجع العربية بأنه أول وال لشاطبة من قبل ابن هود وهو الذى حاول تأمين أوضاع المسلمين فى شاطبة قبل تسليمها للأراجونيين (سحر سالم:شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس,ص 223).

[9] Isabel, A forgotten community, p 136-137, Robert Burns,, Muslims, Christians and Jews in the crusader kingdom of Valencia Societies in Symbiosis, Cambridge, 1984, p 377 .

[10] Ramon Muntaner, Cronista dels reyes de Aragon, ciudad de Valencia, Barcelona, 1910, p 5,6.

1258م كما أن اللهجة التى تبدو جلية فى مدوناته يغلب عليها - بعد هذا التمرد - روح العداء والمرارة تجاه المسلمين مما يسوق تأكيد حدة التمرد وخطورته، كما أن رامون مونتير بعد سرده فصلاً واحداً من غزو بلنسية،أوجز إيجازاً مخلاً،وإن أفسح المجال بعد ذلك للحديث عن تمرد آخر سنة 1275م إذ لعب الملك بير الثالث دوراً رئيساً أولا بوصفه أميراً ثم بوصفه ملكاً[11] والشئ الأكثر أهمية والذى حدث، هو توقيع رسالة بالعربية من ابن الأزرق إلى الملكة فيولنت والتى بمقتضاها انتهى التمرد.

وكان على من تبقى من مدجنى شاطبة بعد الغزو،إما البقاء بشاطبة، أو الهجرة مع ابن عيسى إلى مونتيسا القريبة،أو إلى غرناطة وشمال إفريقية ؛ مما يجعلنا نؤكد براءة ابن عيسى مما نسب إليه ظلماً .وبمرور الوقت واجه المدجنون الذين آثروا البقاء الضغط ؛ من أجل التحول للمسيحية،إلا أن مدجنى شاطبة قد واجهوا بشكل ما عملية الإجبار التى يسميها مؤرخو الغرب التثاقف،وهذه الفترة تشهد على تحول كبير إلى المسيحية. علاوة على ذلك عدم تورط شاطبة فى التمرد، لكنها ساعدت بلنسية بشكل ما. وكان على المدجنين اتخاذ القرار إما بالبقاء أو عدمه، والابقاء على الدين لأولئك الذين غزتهم أراجون، ولفت ذلك انتباه الفقهاء، وتظل فتاوى الونشريسى الفريدة، لكنها ليست الوحيدة - كما أقرت إيزابيل - بل هناك فتاوى أخرى،تخص هذه الحيثية[12]،موضحة أنه لا يجوز للمسلم الاقامة تحت إمرة الحكم المسيحى.[13] وفيها كتب إلى الشيخ الفقيه المعلم الخطيب الفاضل ابو عبد الله بن قطية بما نصه :المسألة: هل تجوز إقامة المسلم فى بلد غلب عليه النصارى؟ الجواب الهجرة إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة.

ولعل هجرة علماء شاطبة فى التو؛ ربما تشير إلى تأثرهم بمثل هذه الفتوى ؛ فقد غادر أحد الفقهاء ويدعى أبو القاسم شاطبة مع ابن عيسى،ووهبت إثنتان من ممتلكاته إلى المسيحيين طبقا للربرمنت. ووهب الملك للمدجنين من أنصار الوزير ابن عيسى ممتلكات abenyarran، ibn ferri the ruler، s assistant،وربما العدد الكبير من البيوت الخالية والأراضى التى وهبت للمسيحيين مؤشراً على نزوح الكثير من شاطبة إلى مونتيسا ؛ حيث يستطيعون العيش تحت إمرة قائد مسلم فى حصن من حصون بنى عيسى والعديد من المسلمين، إحتفظوا بآمالهم فى فرصة عسكرية، تمكنهم من إعادة شاطبة هذه الطموحات إلى حد ما واقعية،وأعطت الإيحاء بأن تمرد ابن الأزرق لا يزال قوياً فى جنوب مملكة

---

[11] Robert Burns, the Crusade against Al Azraq, p 82 إنظرملحق(2)رساله ابن الأزرق للملكه فيولنته .

[12] Isabel p 119. على سبيل المثال فتاوى أبى القاسم ابن سراج الأندلسي

[13] الونشريسى: المعيار المعرب والجامع المغرب فى أخبار الأندلس وافريقية والمغرب,تحقيق ناصر حجى,دار الغرب الاسلامى,م 1,ص91.

بلنسية،ومن المرجح كذلك أن معظم المهاجرين من شاطبة لم يهاجروا إلى مونتيسا،بل أبعد من ذلك إلى غرناطة وشمال إفريقية، مع ذلك لم يتبع كل المدجنين بشاطبة رؤساءهم الروحانيين فى المنفى، بل ظل عدد كبير منهم بشاطبة ؛ وذلك لكونهم فقراء للغاية. وبعضهمالآخر بقى مثل الفنقى الذى وجد فى هذا البقاء؛ فرصة لإعادة بناء قوة ومكانه،واتبعت الملكية معهم السياسة نفسها التى اتبعتها منذ القرن الثانى عشر، وصممت الملكية شيئا يسمى a modus Vivendi أسلوب حياة manner of livingوبها استطاع المدجنون الاحتفاظ بطريقتهم الإسلاميه فى الحياة[14] أو بالأحرى نسبياً .ولا شك أن المجتمع الإسلامى قد أرسل أنهاراً من اللاجئين عقب التمرد فى كل مكان[15]

ومن أشهر الحركات التحررية أو حركات التمرد

حركة ابن مافوت 1234-1262م الذى قاد التمرد651-653ه/ 1253-1255م فى إشبيلية وملك لبلة وgarbe ومدجن آخر اسمه ابن ابيت Aben Abeit سيد شريش الذى قرر وضعها تحت الحصار لحوال شهر، وقد عقد مع الملك الفونسو العاشر هدنة قرر بموجبها الاستسلام،وتسليم القلعة والمغادرة مع أتباعه، وبينما المدينة تحت الحصار،أمر الفونسوالعاشر شقيقه الأمير انريك بالذهاب ومحاصرة Acros،التى كانت مع مدينة نبريشة Librija وتتحكم فيها إمرأة من الموريسكيين[16] وكان تعداد المدجنين كبيراً كذلك بمدينة لبلة،ويبدو أن الدعم الذى افتقر إليه المدجنون؛ وجدوه من الطبيعة،التى قادت الكثير من الذباب فى أثناء الحصار الذى أتى على معسكر الرجال المسيحيين وجعلهم يتقيئون ما أكلوا، وأصيبوا بالإسهال، ومات الكثير منهم ؛مما جعل الملك يوافق على الانسحاب وفك الحصار بعد أكثر من سبعة أشهر[17].

تمرد عام 664هـ/1264م

يعد انقلاب المدجنين سنة663ه/ 1264م واحداً من أخطر الانقلابات التى ذكرتها المصادر. ويرجح أن أسباب هذا التمرد تعود إلى عمليات الإحلال للمسيحيين،أى أن هذاالتمرد كان نتيجة للإحلال وليس سبباً له. وتوضح المصادر أن خايمى الأول سلم المدينة لأحد القادة،ويدعى الفونسو جارسيا،الذى بدأ سياسة الإحلال للمسيحيين. لكل المنطقة التى تم تحريرها مع القطالانيين والأراجونيين والبلنسيين الجدد. وقام بتسكين أكثر من ثلاثين ألف مسيحى من السكان القاطنين سنة669ه/1270م،وأوريولة هى الأخرى ظل فيها التسكين منذ سنة671ه/1272م

---

(14) **Isabel, a forgotten community, p 120.**

(15) **Robert Burns, Immigrants From Islam, p35 .**

(16) **Shelby Thacker, The Chronicle of Alfonso X, p 35-36.**

ابن مافوت باشبيلية وابن ابيت بشريش وسيدة من الموريسكيين فى نبريشة.

(17) **Ibid.**

وحتى بداية عهد خايمى الثانى[18]،ويؤكد هلجارس هذا الرأى،موضحا قيام الفونسو بنشاط تسكينى كثيف للمدن الصغيرة،والضغط على المسلمين؛ مما يؤكد أن التمرد هنا كان نتاجا للإحلال المسيحى وليس سبباً له.[19] وهو الذى جعل الملك محمد الأول بغرناطة يستدعى جيشا من شمال إفريقية لدعم انقلاب المدجنين، لكن الانقلاب لم ينجح؛ بسبب عدم وصول الدعم من المغرب. ونتج عن ذلك تحويل معظم المساجد إلى كنائس،وإن كنت أرى أن تحول المساجد إلى كنائس، هى سياسة متعارف عليها، لم تكن نتيجة لتمرد أوما شابه، بل جرى العرف على تحويل المساجد إلى كنائس بيد المسيحيين حال انتصارهم أو حيازتهم لمدينة. وكان على أغلب السكان المغادرة،ويرى أسدرو لاس كيخاس أن هذا التاريخ تاريخ حيوى بشكل ما فى تاريخ غرناطة، وبداية التدجن فى قشتالة لمجتمع يسعى للبقاء مقابل دور محدود ومواطنين من الدرجة الثانية[20].أما هارفى فيضيف أن العزلة كانت إختياراً شخصيا منهم[21]، موضحاً أن انقلاب سنة 663ه/1264م قد أثرعلى الأراضى المكتسبة بشكل خطير وعلى مجتمعات المدجنين القديمة، هذا التمرد الذى عرف فى التاريخ باسم انقلاب المدجنين،وهو محاولة فى الأندلس،لتحقيق وحدة مرسيه حينما أدرك المدجنون فى شريش،عجز الملك عن إيقافهم ؛ فقاموا بمحاصرة جارسيا جومس ورجاله، وهم من خيرة قادته،وهاجموه ليلاً بلا هوادة،لكنهم لم يقتلوه ؛عرفانا منهم بمساعدته السابقة لهم - على حد وصف المدونة[22]- فاستعان الفونسو العاشر بحماه خايمى الأول فى أراجون610-675ه/ 1213-1276م ؛ لمساعدته فى إخضاع المدجنين المهمة، التى استطاع خايمى الأول استكمالها سنة 665ه/1266م [23]

وتمرد سنة663ه/ 1264م - كما ذكرته مدونة الفونسو العاشر- كان تحت الهيمنة المسيحية فى شريش،والأقاليم المحيطة بالأندلس ومرسية، حيث استطاع المدجنون - أو كما أسمتهم المدونة المورو - فى السنة الثانية عشر -من حكم الفونسو العاشر تقريبا650-683ه/ 1252-1284م، التحكم فى شريش والقصر ؛ فقام الفونسو بحصار المدينة لمدة خمسة أشهر، ومع صعوبة الحصار، أرسل المورو يطلبون من الملك، العفو، مقابل تسليم المدينة ؛ لعلمهم بمدى الخطأ الفادح الذى ارتكبوه خاصة بانضماهم لملك غرناطة، كما ترددت إلى مسامع الفونسو أنباء أن ملك بنى مرين كان يعد العدة لعبور المغرب والمجئ لأخذ المدينة .وكانت الحرب سجالا بين المورو و

[18]**Miguel Gual Camarena, La Corona de Aragon en le repoblacion Murciana, Barcelona, 1962,p30,p 304**

[19]**Hillgarth, The Spanish Kingdoms, p25**

[20]**Isdro Las Cagigas, Las Mudejares, p 242**

[21]**Harvey, Muslim Spain, p 64-65**

[22]**Shelby Thacker, Alfonso X Chronicle, p 54**

[23]**Ibid,**

الممالك المسيحية مع قشتالة تحديداً عند تحكمهم بمدينة شريش والقصر، وبدأت المراسلات بينهم،مقابل تسليم المدينة،وذلك بعد صعوبة الحصار، وبمجرد استسلام المدينة ؛ تم تسليمها إلى الفرسان والنبلاء[24].

ويقال إن الذى استحثهم على هذا التمرد ملك غرناطة،وحدث هذا التمرد فى663ه/ مايو إلى يونيو1264[25]وهو العام نفسه الذى شهد مرسوم الملك الفونسو العاشر ؛ بإلزام الخدمة العسكرية باكسترمادورا فى15إبريل[26]؛ مما يجعلنا نعتقد وجود علاقة بين هذا الإلزام العسكرى ومحاولة تقنين التمرد،ويقال أن ملك غرناطة محمد الأول طلب مساعدة بنى مرين وتحديداً أبو يوسف يعقوب أمير بنى مرين بالمغرب،الذى أرسل ثلاثمائة فارس،ربما فى أواخر سنة662ه/ 1263م ؛ رداً على إستغاثة ملك غرناطة[27]ويرجح أن يكون هذا هوالسبب الذى جعل المؤرخين يعتقدوا أن ملك غرناطة أساس هذا التمرد وهو الذى حض عليه.

حيث تتهم المصادر المسيحية محمد الأول بالخيانة وأنه مدبر تمرد المدجنين وهذا - ما ذُكر فى مدونة الفونسو العاشرالحكيم650-683ه/ 1252-1284م - وتشير وثيقة663ه/ 20 يونيه1264م سؤال الفونسو العاشر لبدرو لورنزو أسقف قونقة بوعظ المسيحيين بحرب المسلمين وبناء على خيانة محمد الأول على حد وصف الغرب؛ عقد الفونسو العاشرمحكمة فى طليطلة لهذا الشأن[28]وإن كنت أرى أن هذا الحديث غيرمقبول فافتقار المدجنين للواء يجتمعوا عليه جعلهم فريسة سهلة للاستغلال المنظم،ولو أن السلطان محمد قد حرضهم على التمرد لكان لزاما عليه موالاة الاستمرار فى دعمهم؛ ضماناً لذلك كما إن الأوضاع السياسية التى سادت العالم الاسلامى أنذاك من تفتت سياسى وصراعات فيما بينهم تارة وفيما بين المسيحيين تارة؛ جعلهم يغضوا الطرف نسبياً عن هذا الخليط السكانى الغريب الذى نشأ فى خضم هذه الأحداث الجسام.

ومع بداية665ه/ 1266م بدأ خايمى الأول باعطاء الأوامر بإحلال المسيحيين بمرسية،ومنذ هذا الحين بدأ إعادة التوطين نهائياً. وبدء تنظيم مرسية عرقيا بين المدجنين واليهود والمرتدين، والذى وصفته مؤلفات الأوروبيون أنفسهم بأنه أضحى معقدا وإن زاد بشكل كبير منذ665ه/ 1266م وتدفق الكثير من السكان المسيحيين من

---

(24)**Shelby Thacker, Alfonso X Chronicle, p 58**

(25)**Ibid, p 51**

(26)**Ibid, p 55**

(27)**Shelby Thacker, Alfonso X Chronicle, p 56**

(28)**Alejandro Garcia Sanjuan, Causas inmediatas y Alcance de la revuelta Mudejare de 1264, p505 (Actas simposio internacional de mudejarismo, Mudejares-Moriscos Teruel 12-14 de Septiembre de 2004**

أقاليم مختلفة فى هذا الوقت مع مشاركة للسكان الجدد المتعددين ذوى الأصول مختلفة والذى تمخض عن تعداد سكانى غير متجانس والتى وصفته المراجع بأنه مع الوقت قد تجاوز اللحظات الحرجة وذابت كل الفروق فى إناء كبير من الاحتواء[29].

وأرسل الملك خايمى الأول ملك أراجون ثلاثة من خيرة رجاله هم دون بدرو نونزDon Pedro Nunez والفارس سنتياجوSantiago دون بلايو بيريزوالفونسو جارسيا من villamayor ؛ لقمع الثائر المدجن فى Arrixaca ومساعديه وذلك ؛ لنقضهم المعاهدة التى عقدها مع ملك أراجون. ويبدو أن ملك أراجون قد أثر المعاهدة وعقد تسوية مرضية لكلا الطرفين وكان ممثلى المدجنين ابوبكر وابوعبدالله بن غالب نيابة عن محمد ابو عبد الله بن هود والذى قيل أنه استولى على مجموعة من الأماكن مثل Monteagudo، Alcantarilla، Fortuna ، Abanilla والذى كتب الخطاب لالفونسو العاشر إعترف فيه بخطأ توقيعه إتفاقية مع خايمى الأول وأنه مشغوفا للحصول على عذر من ملك قشتالة[30] وعلى ما يبدو أن هذا التمرد لم يكن التالى لتمرد ابن الأزرق بل سبقه تمرد أخر مؤرخ بتاريخ سنة651ه/ 1253م والذى ورد أنه إمتد إلى شريش.وأن الفونسو العاشر قام بحصارها وذلك لقيام تمرد يتزعمه قائدها ابن ابيت وفى نفس الوقت أخذ الطفل إنريكLebrija،Arcos ولم تمضى عشرة أعوام حتى قام تمرد المدجنين الذى حدث سنة663ه/ 1264م والذى اعتبره بعض مؤرخى الغرب حلقة من حلقات الحرب الأولى بين غرناطة وقشتالة[31]. وأن ملكى قشتالة وأراجون قد حلا أنفسهما وببساطة من أى تعهدات[32]

ويبدوأن صراع بنى الأحمر مع بنى أشقيلولة كان معولاًأخر،ليس فقط فى سقوط مملكة غرناطة،بل وكذلك فى القضاء على حركات التحرر أو كما أسماها الغرب التمرد؛ مثل تمرد البوكويز،والذى أرسل ملك غرناطة بشأنه رسالة إلى الملك الفونسو يعده بسحب الدعم من مرسيه عن البوكويز فى حال موافقة الملك على إلغاء إتفاقه مع شيوخ مالقة، وأنه على استعداد لمساعدة الملك ؛ فوافق الملك الفونسو ؛ شريطة أن يعطى ملك غرناطة للملك مائتى ألف مرفيدس عن كل سنة[33].

وقيل إن ملك غرناطة قد تخلى عن البوكويز كلية،وطلب من الفونسو قتل البوكويز،وهى إساءة واضحة،تنسبها المدونة لملك غرناطة. وطلب من الفونسو التخلى عن المعاهدة التى عقدها مع الرؤساء - المقصود رؤساء مالقة - لكن الفونسو

(29)Juan Torres Fontes, Los Mudejares Murcianos en el siglo XIII, Murcia, 1961,p 6.
(30)Juan Torres Fontes, Los Mudejares Murcianos en el siglo XIII, Murcia, 1961,p 8-10.
(31)Alejandro Garcia Sanjuan, Causas inmediatas y Alcance de la revuelta Mudejare de 1264, p514.
(32)Juan Torres Fontes, Los Mudejares Murcianos en el siglo XIII,p 11.
(33) Shelby Thacker,Chronicle of Alfonso X, p 60.

لم يقتله،ويبدو أن البوكويز لم يجد دعماً ؛ فآثر تسليم المدينة إلى الملك،الذى تركها فى يد أخيه مانويل، واستأنف السير ؛ ليرى باقى الأماكن التى شقت عصا الطاعة، ويقال إن ابن الفونسو لم يقتل البوكويز؛ لحاجته لهؤلاء المورو كما ذكرتهم المدونة كرعايا بل وطلب منهم البقاء كما أعطاهم دخلا ثابتا ليتعيشوا منه[34].

تمرد عام675هـ/ 1276م

تسطر المصادر التمرد الثانى لمدجنى بلنسية ضد المملكة فى سنة674ه/ 1275م،وتؤكد تورط مدينة إسليدا- بشكل كبير- فى التمرد، الذى قيل إن السبب الرئيس لقيام التمرد؛ هو قيام المغامر مجويل بريسMiguel Berez باغتيال العديد من المدجنين فى الموريريات الخاصة ببلنسية[35]. هذه الحلقة توضح بداية الانتشار الواسع للهجوم المسيحى على المدجنين فى مملكة بلنسية .وفى674ه/ 13 ديسمبر1275م،أمر الملك خايمى عدداً من الفرسان المسيحيين بالحضور إلى شاطبة والاستعداد للقتال. وعلى الرغم من أن العلاقة بين أعمال العصيان المسيحية وتمرد المدجنين سنة675ه/ 1276م ليست واضحة للغاية فإنهم ارتبطوا معاً بالملك. *وبما أن الكثير من المسيحيين والمدجنين فى المملكة ثاروا ضدنا كما جرحوا أراضينا، وسواء الارتباط بين العنف المسيحى ؛ وجب علينا التصرف*[36]. وترى إيزابيل أن الهجمات المسيحية على المدجنين حدثت فى الوقت الذى كان المدجنون فيه على وشك تسلم المساعدة العسكرية من قواد غرناطة وبنى مرين بالمغرب. وفى674ه/ 1275م طلب محمد الثانى ملك غرناطة المساعدة العسكرية من بنى مرين بالمغرب ضد الفونسو العاشر ملك قشتالة، ووصلت القوات المرينية الأولى فى674ه/ مايو1275م بقيادة أبى يوسف،وذلك لمدة شهرين متتاليين . وتأتى أهمية المساعدات القادمة من شمال إفريقية؛ بأنها توضح القوة العسكرية للحكام المسلمين فى إسبانيا، الذين قدموا لغرناطة الدعم العسكرى و المعنوى، وأكدوا على بقاء مملكة بنى نصر. وكانت أنباء غزو بنى مرين وإغاراتهم داخل إقليم بلنسية قد أمدت بالأمل فى إستعادة الاقليم الذى فقدوه حديثا للمسيحيين.وفى الوقت ذاته، ترجح المؤرخة أن من أسباب التمرد عدم اطمئنان المدجنين ؛ مما أثار القلق بين بعض السكان المسيحيين،الذين اختاروا ترك ممتلكاتهم، التى اكتسبوها حديثاً جنوب بلنسية فىconcentaina.ولعب فقهاء المدينة دوراً فى منع السكان المسيحيين من الإقرار بوجود حرب فى مملكة بلنسية تحت عقوبة الاعتقال[37]،وعلى الرغم أن بنىعيسى لم يعلنوا التمرد علانية ضد المملكة، فإنهم مثلوا خطراً محتملاً للمملكة، فهم سادة منتيشة وvallada وقلعتهم القوية فى مونتيسا

(34)**Shelby Thacker, Alfonso X Chronicle, p 61.**

(35)**Isabel, A forgotten Community, p 138.**

(36)**Ibid, p 138.**

(37)**Isabel, A forgotten Community, p 139.**

لعبت دوراً كمغناطيس قوى لجذب الثائرين فى أوقات التمرد،علاوة على أن المتمردين كانوا يُؤخذوا كلاجئين؛ لذلك خططت المملكة للاستيلاء على منتيشة من بنى عيسى؛ من أجل إبطاء قوى بنى عيسى، وهذا دليل إضافى يبرئ بنى عيسى من التهمة المنسوبة إليهم. وانتظر خايمى الفرصة المناسبة، حين توفى ابن عيسى أوائل سنة 669ه/1270م،وتبعه بفترة قصيرة مستشاره أبو بكر بن يحيى بن عيسى الذى شغل منصب الفقيه سنة672ه/ 1273م،ولا شك أن تغيير الحكم فرصة طيبة للتدخل الملكى،ففى ديسمبر سنة672ه/ 1273م أشار الملك خايمى الأول إلى وثيقة بينه وبين أبى بكر بتعليق نشاط التالى لمدة عام، حتى استسلام قلعة مونتيسا ومدينة vallada[38].

تلا الغزوالمسيحى ؛اختيار الكثير من مدجنى شاطبة الرحيل عن المدينة،مثل البطانة التى تسكن منتيشة مع ابن عيسى وقام المدجنون الآخرون من شاطبة، بالهجرة إلى غرناطة وشمال افريقية، وآخرون فضلوا البقاء،وهم فقراء المدجنين وغيرهم.فحياة المدجنين فى شاطبة لم تبق على حالها؛ فقد ساهم الضغط الدموجرافى فى إعادة نقل المدجنين من شاطبة إلى رفال سانت جوان، حيث بناء مسجد جديد672ه/ 1273م وعلى الرغم من المزايا الملكية التى تسمح للمدجنين بشاطبة بالاستمرار فى مزاولة الاسلام فإن المدجنين بدأوا يشعرون بالضغط فى التحول للمسيحية، وزيادة الاتصال بالمسيحيين والحملات العسكرية الملكية ؛ لفرض التحول مع ذلك لم تثبت أى نجاح بين مدجنى شاطبة،مما يشير إلى أن المزايا الملكية فيما يخص حرية ممارسة الشعائر مزايا اسمية. ومع هذا لم يبقى مدجنو شاطبة رعايا سلبيين فى عملية التثاقف،على الرغم من أنهم لم يتورطوا مباشرة فى تمرد المدجنين فى بلنسية673و674ه/ 1274و1275م،لكن مدجنى شاطبة وافقوا على التمرد بحرص، وفى كل الحالات جعلت المملكة شاطبة مركزاً للعمليات العسكرية لذلك منعت أى عصيان مدجن هناك[39].

كما أن تمرد675ه/ 1276م تزامن مع هجمات مسيحية على مجتمعات المدجنين فى مملكة بلنسية، وإعتبر بعض المسيحيين المدجنين عدواً غير مندمج وخطير. واستفادوا من تمرد المدجنين ؛لاعلان الحرب ضدهم ولم تعان موريريا شاطبة من أى هجوم مسيحى سنة675ه/ 1276م،ومع ذلك الهجوم على مملكة بلنسية كان واسع الانتشار وأعمال الضغط المسيحى؛ تمخضت عن تدمير ممتلكات المدجنين ؛واستعبادهم هناك، ومع ذلك لم يمد التحول حماية حقيقية لأولئك المرتدين،وعلى سبيل المثال فى675ه/ نوفمبر1276م ضمن الملك الإعفاء الضريبى من الـquestia وضرائب أخرى لمدجنى بلنسية،الذين تحولوا إلى المسيحية،ولكن على الرغم من ذلك

[38] Isabel, A forgotten Community,p 141.
[39] Ibid, p 144.

فقد فقدوا ممتلكاتهم، وتدمرت الموريريا ببلنسية وموريريات أخرى مثل موريريا Alzira، Segunta and cocentainaأيضاً هوجموا بواسطة المسيحيين واعتراف perec de bolea المسيحى، الذى أتهم بالمشاركة فى نهب موريريا قسنطينة،يوحى بفكرة العنف الذى صاحب الهجوم .والشخص المذكور آنفاً يدعى أنه على الرغم من مصاحبته للـalmogavers الجنود المدجنين فإنه تركهم عندما قرروا كسر الرفال وقد رأت الملكية إزعاج كبير لحياة المدجنين؛ بسبب الهجوم المسيحى ؛ مما أثر بالسلب على مفاتيح الكنز الملكى ؛ لذلك فإن الملك بيرالثالث وجد اهتماماً فى معاقبة أولئك المذنبين بالهجوم على موريريا؛ ففى الزيرا أدان الكثيرالهجوم على موريريا677ه/ 1278م[40].

تمرد آخر ذكره برنز **هو تمردalbacor** احد رعاة البقر، والاسم يعنى راعى البقر الذى ارتكب الكثير من السوء فى هجومه على الأقاليم Alcoy-albaida،بمساعدة عدد من الفرسان والمشاة، لكن حملاته قد انتهت بوفاته وهو افتراضيا من السادة المحليين العسكريين الذين سيقوا بواسطة الموحدين سابقاً، ويتضح من شدة التمرد وحدته ؛ مدى سيطرة هؤلاء المدجنين على قلاع فى المملكة،وإن كان بعضهم قد اختفى بعد الغزو وبعضهم ظل متمردا ضدملوك قشتالة وأراجون[41].

ومن **التمردات** التى ظهرت، ما حدث سنة896ه/ 1490م،عندما قام مسلمو وادى أش وبيازة والمدن التى تقع على نهر المرية،بالتمرد ضد القوة الموجودة فى قشتالة،هذا التمرد الذى لا تزال أسبابه غيرواضحة لكنه قمع بشدة، وبعده وافق المدجنون على السكن خارج حدود القلاع،وبعضهم هاجر إلى شمال إفريقية،والآخرون أظهروا أسفهم على بضائعهم التى صودرت لعدد من السنين حتى بعد تسليم المرية إلى قشتالة[42].

[40] **Isabel, A forgotten Community, p 147.**

[41] **Robert Burns, The Crusade against Ibn Al Azraq, p 84.**

[42] **Maria Isabel Jimenez Jurado y Lopez Andres, Dos documentos sobre Moriscos de Almeria los epecieros y una carta de dote, p228.**

القلاع التى استولى عليها ابن الازرق

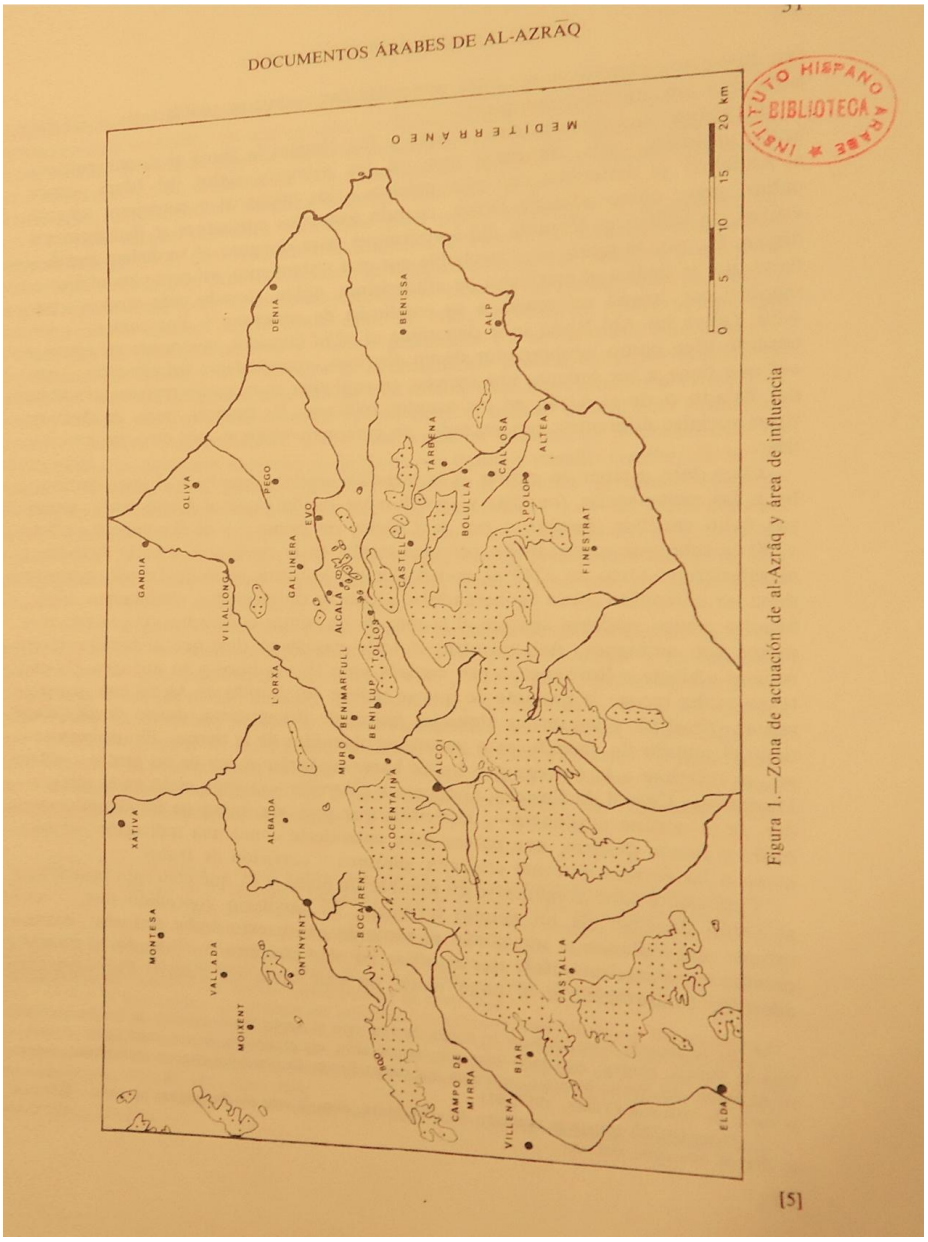

Figura 1.—Zona de actuación de al-Azraq y área de influencia

[5]

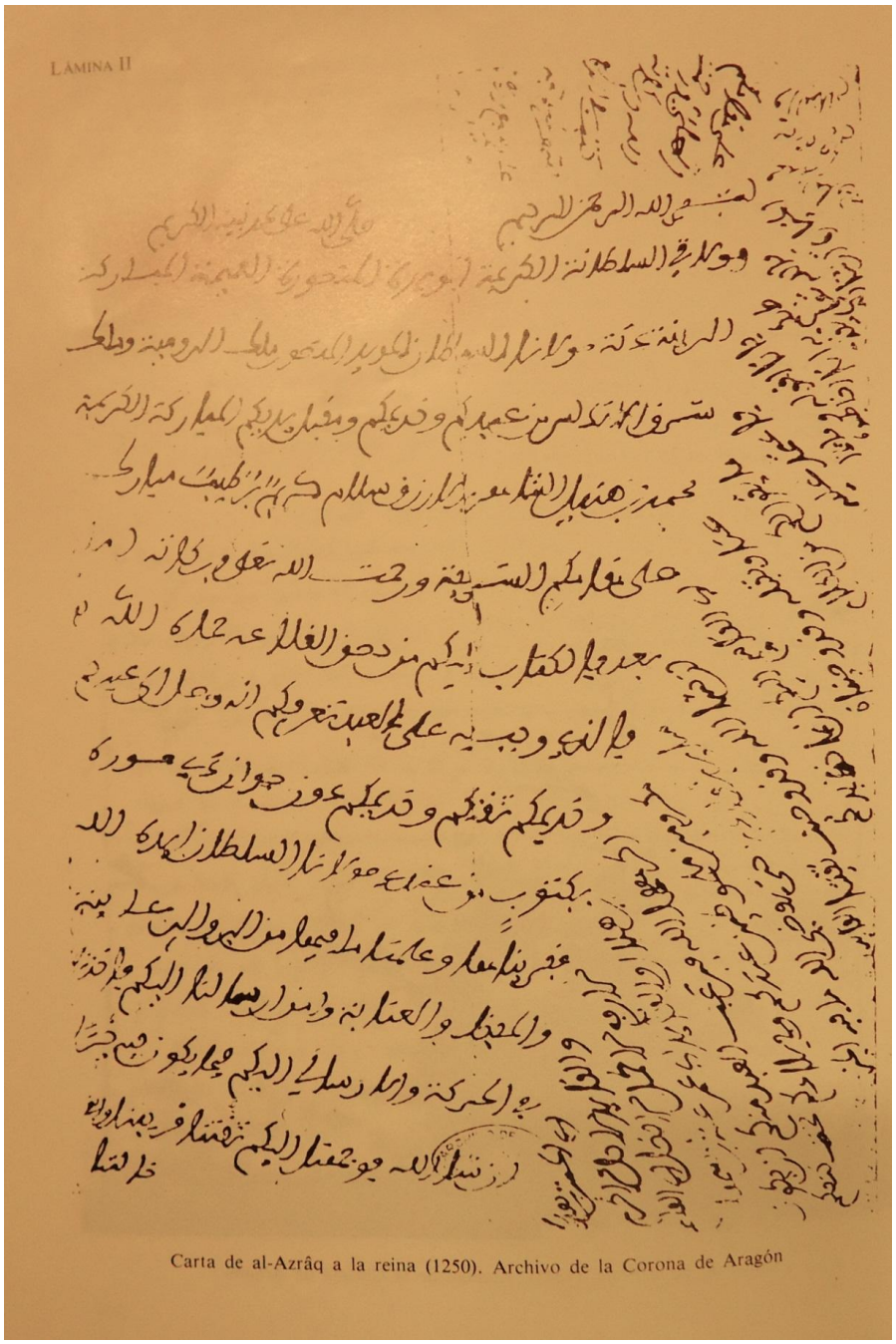

Carta de al-Azrâq a la reina (1250). Archivo de la Corona de Aragón

المصادر والمراجع العربية

الونشريسى: المعيار المعرب والجامع المغرب فى أخبار الأندلس وافريقية والمغرب,تحقيق ناصر حجى,دار الغرب الاسلامى,م 1,

سحر سالم:شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس, ،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1995م

Alejandro Garcia Sanjuan, Causas inmediatas y Alcance de la revuelta Mudejare de 1264, (Actas simposio internacional de mudejarismo, Mudejares- Moriscos Teruel 12-14 de Septiembre de 2004

- **Esteban Sarasa Sanchez, Arte Mudejare en Aragon, Leon, Castilla, Extremadura y Andalucia,**
- **Hillgarth, The Spanish Kingdoms**
- **Harvey, Muslim Spain**
- **Isabel A O Connor ,A forgotten Community The Mudejare Aljama of Jativa 1240-1327،Brill ،Leiden،p2003.**
- **Isdro Las Cagigas, Las Mudejares,**
- **Juan Torres Fontes, Los Mudejares Murcianos en el siglo XIII, Murcia, 1961**

Miguel Gual Camarena, La Corona de Aragon en le repoblacion Murciana, Barcelona,

Maria Isabel Jimenez Jurado y Lopez Andres, Dos documentos sobre Moriscos de Almeria los epecieros y una carta de dote

Ramon Muntaner, Cronista dels reyes de Aragon, ciudad de Valencia, Barcelona, 1910,

- **Robert Burns, The Crusade against Al Azraq The Crusade against ibn Alazraq، American Historical review، vol 93، n 1، Feb، 1988**
- **Robert Burns,, Muslims, Christians and Jews in the crusader kingdom of Valencia Societies in Symbiosis, Cambridge, 1984**
- **Robert Burns, Immigrants From ، The Crusade use of Muslim As settlers in the thirteenth century Spain، Oxford Journals، Vol، 80، No،1(Feb. 1975)،**
- **Salma Kadraa, The legacy of Muslim Spain, Brill، Leiden، 1999**
- **Shelby Thacker, The Chronicle of Alfonso X, USA**